حكم المستضعفين في يوم الدّين

حسن فوزي فوّاز

دكتواره فقه وأصول، جامعة المصطفى العالميّة، أستاذ الفقه والأصول في الحوزة العلميّة- قم المقدّسة

ملخّص

بحثُنا في هذه المقالة حول مفهوم (المُسْتَضعَف)، وعن حكمه يوم القيامة من حيث استحقاق الجنّة أو النار. وتكمن أهميّة هذا البحث في أنّها أنّها تعالج إشكاليّةً متجذّرة حول حكم الآخر يوم القيامة، وإنّ كان الجنّة مختصّة بطائفة قليلة من النّاس أعني بهم المؤمنين.

وقد اعتمدنا في علاج هذه المسألة على أساس ما جاء في الكتاب والسنّة، متكلّين في بيانها على الفهم العرفيّ العامّ.

وقد تبيّن فيها أنّ المُستضعف بشكل عامّ، هو كلّ معذور في عدم إصابته الحقّ في اعتقاداته _ ونعني بالاعتقادات الأصول الّتي يدور عليها رحى الإيمان _ سواء أكان ذلك لقصور ذاتيّ أم لعوامل خارجيّة. مع الالتفات إلى أنـّه في الأخبار كثيراً ما يطلق المُستضعَف على خصوص من كان مقراً بالشّهادتين، فيكون المُراد منه كلّ من لا ينصب من سائر فرق المسلمين؛ على خلاف في بيان حقيقة النّاصب وأنّه من أظهر العداوة أو كلّ من جحد حقّ الأئمة (عليهم السلام).

ثمّ بيّنا أنّه من حيث الحكم بالإيمان والكفر لا يحكم عليه بشيء منهما، بل هو واسطة بينهما بحيث لا يستحقّ اسم الكفر ولا الإيمان اعتقادًا كما نصّ على ذلك في جملة من الأخبار، وأنّ وحكمه في عالم الآخرة أنّه يختبر فمن أطاع دخل الجنّة وإلّا استحقّ النّار.

الكلمات المفتاحية:

الإيمان- الكفر- المستضعَف- الجنّة- النّار- الحجّة.

1.موضوع المقالة

من ضروريّات الدّين انقسام النّاس إلى مؤمن وكافر، وأنّ المؤمن مستحقّ الجنّة ولو بعد حين، كما أنّ الكافر مستحقّ للعذاب الدائم؛ لكن قد وقع في النّصوص ذكر صنف ثالث من النّاس لم يوصَف بالإيمان ولا بالكفر بالمعنى العَقَديّ للكلمة، فلا يستحقّ جنّة ولا نار، ويُطلق عليه عنوان:(المستضعَف)، والقصد من هذه المقالة بيان حقيقة هذا العنوان بحسب ما جاء في النّصوص من جهة، وبيان حكمه يوم الدّين والجزاء.

2. المُستضعَف لغةً

المُستضعَف اسم مفعول من الاستضعاف، فيُقصد منه الإشارة إلى محلّ الاستضعاف، وهو مشتقّ من مادّة (ضعف)، وهي مادّة تأتي بمعنى الزّيادة وضدّ القوّة، والمراد في المقام الثّاني، ومن هنا قال الفراهيديّ: «الضُعف خلاف القوّة، ويُقال: الضَعف في العقل والرأي، والضُعف في الجسد، ويُقال هما لغتان جائزتان في كلّ وجهٍ... وتقول: أضعفته إضعافاً أي صيرّته ضعيفاً. واستضعفته: وجدته ضعيفاً فركبته بسوء. وفي معنى آخر: أضعفت الشيء إضعافاً، وهو إذا زاد على أصله فجعله مثلين أو أكثر»[1]، ولا تخرج كلمات سائر اللّغويين عن هذا المعنى[2].

وقولهم:(واستضعفته: وجدته ضعيفاً فركبته بسوء) إشارة إلى أنّ المستضعَف فيه شيء من الضّعف الّذي قد يستغلّه ظالم لتحميله ما يضرّه دنيويًا أو أخرويًّا أو فيهما معًا.

وأيضاً فإنّ هذا التّعبير يشهد على أنّ الاستضعاف_وهو المؤيّد بالوجدان العرفيّ وما وجدناه من

1- الفراهيدي، أ: كتاب العين:1:281 282-.

2- الجوهري، أ: الصّحاح:4: 1390-1391، الزمخشري، م: أساس البلاغة:376، ابن الأثير، م: النّهاية في غريب الحديث والأثر:3:88، ابن منظور، م: لسان العرب:9: 203.

استعمالات _ لا يقع إلّا في موارد الشرّ، ولذا قيل: (فركبته بسوء)، فليس كلّ ضعيف مستضعف، بل قد يكون الضّعيف منعَّمًا فكريًّا ومادّيًّا كما لو كان تحت ولاية أهل الخير، فالنّسبة بين هذين المفهومين _ الضّعيف والمستضعف _ العموم والخصوص المطلق؛ فإنّ كلّ مستضعَف ضعيف، وليس كلّ ضعيف مستضعَف.

3. أقسام المستضعف في الكتاب الكريم.

بعدما عرفت أنّ مقتضى اللّغة كون المقصود من المستضعَف ذلك الضّعيف الّذي يُستغلّ ضعفه بغرض تحميل المكروه، فإنّ مقصود الغير من الاستضعاف تارةً يكون مرتبطًا بالبدن بغضّ النّظر عن المعتقد القلبيّ، وأخرى يقصد من الاستضعاف التّأثير على الأمور الفكريّة. ومن هنا يصحّ تقسيم الاستضعاف إلى استضعاف بدنيّ، يشمل شتّى جوانب الحياة المادّية من استعباد إلى الاستعمار، وقد يكون فرديًّا، وقد يقع على جماعات كبيرة؛ وإلى استضعاف فكريّ، ومقصودنا من البحث خصوص هذا الثّاني.

هذا، وردت مادّة (ضعف) في الكتاب الكريم في اثنين وخمسين موردًا، وفي بعضها قد تستعمل بمعنى الزّيادة كما في قوله تعالى: ﴿**مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقرِضُ ٱللَّهَ قَرضًا حَسَنا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضعَافا كَثِيرَةً**﴾[1]، وقد تُستعمل بمعنىً مطلق الضّعيف كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيهِ ٱلحَقُّ سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا**﴾[2].

وما يهمّنا في المقام استقراء الآيات التي استعملت معنى الاستضعَاف من قبيل: (استضعفوا) (استضعفوني)(المستضعفين)(مستضعفون)(مستضعفين)(يستضعف)(يستضعفو، فقد ورد هذا المعنى في ثلاثة عشر موردًا، وفي اثني عشر مورد قصد من الاستضعاف _ بحسب الظاهر _ الاستضعاف البدني من قبيل قوله تعالى:﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ ٱبنَ أُمَّ إِنَّ ٱلقَومَ ٱستَضعَفُونِي**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُم لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلمُستَضعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلوِلدَٰنِ**

1 -البقرة: 245.
2 -البقرة: 282.
3 -القصص: 5.
4 -الأعراف: 150.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخرِجنَا مِن هَٰذِهِ ٱلقَريَةِ ٱلظَّالِمِ أَهلُهَا وَٱجعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّا وَٱجعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[1].

وهناك آية منها النّظر إلى الاستضعاف الفكريّ وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلمُستَضعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلوِلدَٰنِ لَا يَستَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهتَدُونَ سَبِيلا﴾[2]، وسوف يأتي الاستشهاد على صحّة هذا الفهم بجملة من الأخبار، فهذه الآية الوحيدة بحسب الظّاهر النّاظرة إلى محلّ كلامنا بالصّراحة.

4. التّأصيل القرآنيّ للنّجاة يوم القيامة

من لاحظ الآيات الكريمة في كتاب الله العزيز، يجد بوضوح كيف أنّ الإيمان في الدّنيا سبب تامّ لاستحقاق الجنّة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَأتِهِ مُؤمِنٗا قَد عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلعُلَىٰ﴾[3]، وهو سبب للخلود في جنّة النّعيم كما يفيده قوله تعالى: ﴿يَومَ تَرَى ٱلمُؤمِنِينَ وَٱلمُؤمِنَٰتِ يَسعَىٰ نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم وَبِأَيمَٰنِهِم بُشرَىٰكُمُ ٱليَومَ جَنَّٰتٞ تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ ٱلعَظِيمُ﴾[4].

كما أنّ الكفر سبب استحقاق دخول النّار، فقد قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِن بَعدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُۥ مُطمَئِنُّۢ بِٱلإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلكُفرِ صَدرٗا فَعَلَيهِم غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[5]، وعذابُهم عذابٌ دائمٌ، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلمُنَٰفِقِينَ وَٱلمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسبُهُم وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُم عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾[6].

هذا ممّا لا إشكال فيه، لكن قد ورد في جملةٍ من الآيات ربط العقوبة والعذاب واستحقاق النار، بإتمام الحجّة في الدّنيا، وأوضحت الآيات وصفه تعالى نفسه بأنّه صاحب الحجّة البالغة، فقد قال تعالى: ﴿قُل فَلِلَّهِ ٱلحُجَّةُ ٱلبَٰلِغَةُ فَلَو شَآءَ لَهَدَىٰكُم أَجمَعِينَ﴾[7]، فلا يُدخِل تعالى النّار إلاّ

1 -النساء: 90.
2 -النساء: 98.
3 -طه: 75.
4 -الحديد: 12.
5 -النّحل: 106.
6 -التّوبة: 68.
7 -الأنعام: 149.

من كان لله تعالى عليه الحجة البالغة، أيّ التّامّة أو الكافية، يُقال: (لي في هذا بلاغ أي كفاية)[1].

وأحد وجوه الاحتجاج، الاحتجاج بإرسال الرّسل، فقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبعَثَ رَسُولا**﴾[2]، ولا يُقصد من هذه الآية كفاية مطلق إرسال الرّسول كما لعلّه واضح، بل بما هو مبينّ للدّين، فالمنظور إليه البيان الواصل، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَومَا بَعدَ إِذ هَدَىٰهُم حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾[3]، فالله تعالى لا يُعذّب قوماً حتّى يوصل إليهم الهداية.

وإن كنتَ في شكّ من ذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهلِكَ ٱلقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولا يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِنَا**﴾[4]. فالمطلوب ليس مطلق الرّسول، بل رسولٌ يتلوا عليهم الآيات، ويؤكّده قوله تعالى: ﴿**وَلَو أَنَّآ أَهلَكنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَولَآ أَرسَلتَ إِلَينَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخزَىٰ**﴾[5]، فبعثة الرّسول تلازم وصول آيات يراد اتّباعها، وقسْ عليه حال قوله تعالى: ﴿**وَلَولَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَولَآ أَرسَلتَ إِلَينَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ**﴾[6].

فالمقصود من الرّسول، الرّسول بما هو مبشّر ومُنذر، كما جاء قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ قَد جَآءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم عَلَىٰ فَترَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَد جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٞ**﴾[7] والفترة ما بين كلّ رسول إلى رسول.

5. المستضعف في أخبار أهل البيت عليهم السلام

إذا توضح المعنى اللّغوي للمستضعف وأنّه الضّعيف الّذي ركب بسوء، وأنّ المقصود من السّوء

1 -معجم مقاييس اللغة:1:301.
2 -الإسراء: 15.
3 -التوبة: 115.
4 -القصص: 59.
5 -طه: 134.
6 -القصص: 47.
7 -المائدة: 19.

خصوص السّوء المرتبط بالاعتقاد، فاعلم أنّ بحثنا عن خصوص السّوء المخرج عن الإسلام أو الإيمان، وإلّا فقد يتصوّر استضعاف فكريّ في جوانب لا ترتبط بما يخرج عن الإيمان أو الإسلام.

ثم إنّ الأخبار الّتي يمكن استفادة معنى المستضعف منها كثيرة جدًّا، وسوف نقتصر هنا على الأخبار الّتي ذَكرت المراد من المستضعف كعنوان عامّ، لا بما هو موضوع خاصّ لحكم من الأحكام الفقهيّة، ولذا سوف نُعرِض هنا عن الأخبار الّتي ذكرت المستضعف كموضوع صلاة الميّت، والكفارات، وزكاة الفطرة، وأحكام النّكاح والعتق...

وهذه الأخبار الّتي يُستفاد منها تعريف المستضعَف بشكل عامّ، يمكن تقسيمها إلى طوائفَ ثلاثٍ:

الطّائفة الأولى: الظّاهرة في كون المستضعَف كلّ من لا يقدر على التّمييز.

الطّائفة الثّانية: الظّاهرة في كون المستضعَف من لا يَعرف الخلاف.

الطّائفة الثّالثة: الأخبار المستفيضة الّتي قابلت بين المستضعَف والنّاصب.

هذا، وسوف نتناول هذه الأخبار ضمن مرحلتين، فنبحث بيان مقتضى الطّائفة الأولى والثّانية، وبعد ذلك نبيّن المقصود من أخبار الطّائفة الثّالثة في مرحلة لاحقة، والسّبب في ذلك راجع إلى نكتتين:

النُّكتة الأولى: إنّه لم يرد خبر صريح معتبر في بيان النّاصب، ولذا لا يمكن الاستفادة من هذه الأخبار في بيان المراد من المستضعّف، بل في الحقيقة فإنّ أخبار الطّائفتين الأوليين، هي الّتي يصحّ أن تجعل بيانًا للمراد من النّاصب من باب التّعرّف على الشّيء بمعرفة ضدّه.

وبعبارة واضحة: إنّ أخبار الطّائفة الثّالثة في نفسها أخبار مجملة ملحقة بالمتشابه، بخلاف أخبار الطّائفتين الأُخريين، فإنّها واضحة وصالحة لبيان المراد من النّاصب.

النُّكتة الثّانية: إنّ هذه الأخبار المقابلة بين النّاصب والمستضعَف ناظرة إلى سنْخٍ خاصّ من المستضعفين، وهو المستضعَف من المسلمين، أو قل المستضعف في أمر الإمامة، وكلامنا في هذا المقام أعمّ من ذلك؛ فإنّ الحديث عن المستضعَف مطلقًا ولو في غير هذا الباب.

وأخبار الطائفتين الأُخريين وإن كان بعضها كذلك، إلّا أنّ بعضها الآخر عامّ يشمل جميع أصناف المستضعفين.

إذا عرفت ما تقدّم فلْنشرع بعرض أخبار الطّائفتين الأولى والثّانية، ثمّ نلحقْه ببحث عن أخبار الطّائفة الثّالثة الّتي قابلت بين النّاصب والمستضعف.

الطّائفة الأولى: ويجمعها أنّ المستضعّف من لا قدرة له على التّمييز.

الحديث الأوّل: ما رواه الكُليني بسنده المعتبر عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (المستضعفون الّذين ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا**﴾[1]، قال: «لا يستطيعون حيلةً إلى الإيمان ولا يكفرون، (الصّبيان، وأشباه عقول الصّبيان من الرجال والنّساء)»[2]. وهذا المضمون قد رُوِيَ بأسانيدَ أُخر، عن زرارة أيضاً[3]. وقد جاء في معاني الأخبار نظيره، وفيه ذيله زيادة: «ومن كان من الرّجال والنّساء على مثل عقول الصّبيان مرفوعٌ عنهم القلم»[4].

وظاهر قوله عليه السلام: مرفوع عنهم القلم، كون كلّ مستضعَف كذلك، لكن بقرينة ما ذكره عليه السلام من أمثلة للمستضعَف، وما يأتي في أخبار الطّائفة الثّانية يُعلم كون النّظر إلى خصوص من كان له عقل كعقول الصبيان، فالمستضعَف هنا فاقد للشرط الأوّل، وقد عرفت أنّ عدم تكليفه هو الظّاهر من الأخبار العامّة الّتي جعلت العقل مناط الخطاب.

الحديث الثّاني: ما رُوي عن إسماعيل الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في حديث، وبعدما سُئل عن النّاجين من غير الإماميّة: «إلاّ المستضعَفين. قلت: من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم، ثمّ قال: أرأيت أمّ أيمن فإنيّ أشهد أنّها من أهل الجنّة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه[5]»[6].

---

1 -النّساء: 98.

2 -الكُلينيّ، م: الكافي:2:404:ح2.

3 -الكافي: 2:404:ح3؛ و2: 404:ح1.

4- بن بابويه، م: معاني الأخبار:201: ح4.

5- وقع الكلام في الّذي لم تكن تعرفه أمّ أيمن، وقد ذكر العلاّمة المجلسيّ في المرأة معرفة أم أيمن بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: (أي إمامة سائر الأئمة (عليهم السّلام) سوى أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت معذورة في ذلك لعدم سماعها ذلك، وعدم تمام الحجّة عليها، فكذا المستضعّف معذور لذلك أو صفات الأئمة وكمالهم، أو لم تكن تعرف ذلك بالدّليل بل بالتّقليد، وأمّا أصل معرفة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فعدم معرفتها ذلك بعيد جداً، وكون أمّ أيمن امرأة أخرى معروفة للمخاطب سوى الحاضنة فأبعد). (محمّد باقر المجلسيّ، مرآة العقول، ج11، ص212).

6 -الكافي،2:405:ح6.

ومن الواضح أنّ ذِكْر النّساء والأولاد ليس لأجل الحصر، بل لبيان أوضح المصاديق، وغير واضح كونه عليه السلام في مقام النّظر إلى نساء وأولاد المؤمنين، بل وبقرينة ما يأتي من الأخبار الّتي جعلت أولاد المؤمنين من الموعودين بالجنّة يعلّم النّظر إلى غيرهم.

الحديث الثّالث: ما رُوي عن عمْرو بن اسحاق قال: «سُئِل أبو عبد الله عليه السلام، ما حدّ المستضعَف الّذي ذكره الله عزّ وجلّ؟ قال: من لا يُحسن سورةً من القرآن، وقد خلقه الله عزّ وجلّ خلقةً ما ينبغي له أن لا يحسن»[1].

وكما ترى، فهذه الرّواية ناظرة إلى خصوص من كان له قصور ذاتيّ، والسّؤال عن المستضعَف في القرآن يعني الّذي ذكره الله تعالى في كتابه وفيهم الولدان. فلعلّ المستضعَف الّذي أشير إليه في الآية هو خصوص هذا الصّنف من المستضعَفين، فلاحظ وتأمّل؛ فإنّ الأقرب إلى هذا المعنى أن يُقال: وقد خلقه الله عزّ وجلّ خلقةً ما ينبغي له أن يُحسن.

الحديث الرّابع: ما رُوي عن سليمان بن خالد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «سألته عن المستضعَفين. فقال: البَلهاء في خدْرها، والخادمة[2] تقول لها صليّ فتصليّ لا تدري إلاّ ما قلت لها، والجليب الّذي لا يدري إلاّ ما قلت له، والكبير الفاني والصّبيّ الصّغير هؤلاء المستضعَفون. وأمّا رجلٌ شديد العُنق، جدلٌ، خصمٌ، يتولّى الشّرى والبيع لا تستطيع أن تَغبنه في شيء تقول هذا مستضعَفٌ، لا ولا كرامة)[3].

والمقصود من الجليب المجلوب، وهو الخادم يُساق من موضع الى آخر ومن بلد إلى بلد للتّجارة، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، لا يدري إلاّ ما قلت له؛ لأنّه لا يعرف في البلد إلاّ مالكه ولا يتبع غيره[4].

وهذا الحديث - المعتبر من حيث السّند- لعلّه من أحسن أخبار هذه الطّائفة فإنّه بيّن كون

1- معاني الأخبار: باب معنى المستضعف:202: ح7.
2- في أكثر النّسخ قد عبرّ بـ(الخادم) لكن الموجود في البرهان، وتفسير كنز الدّقائق ـ المؤيّد بالسّياق ـ الّتعبير بـ(الخادمة). انظر: هاشم بن سليمان البحرانيّ، البرهان في تفسير القرآن، ج2، ص158 / محمّد بن محمّد رضا المشهدي، تفسير كنز الدّقائق وبحر الغرائب، ج3، ص519.
3- معاني الأخبار:203: باب معنى المستضعف: ح10.
4- انظر: الجوهريّ: الصّحاح:1: 100.

الموضوعيّة لكون الشّخص جدلاً خصماً، فكلّ من لا يُغبن ولا يُضلَّل بل كان لديه قدرة على تمييز الحقّ من الباطل ليس بمستضعَف.

وعلى كلّ، فهذه الطّائفة من الأخبار في الغالب ناظرة إلى قوله تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلا**﴾[1]، ولذا لا يمكن تخصيصها بالمستضعّف من المسلمين، أعني المستضعّف في أمر الإمامة؛ لوضوح عموم الآية وشمولها على أدنى تقدير لمن كان مستضعفاً في أمر النّبوّة.

نعم، قد يكون المركوز في ذِهن الرّاوي، السّؤال عن خصوص المستضعَف في أمر الإمامة، لكن لا قرينة دالّة على الاختصاص، بل الآية والاستشهاد بها وتفسيرها في كلماتهم عليهم السّلام أمارة العموم.

هذا، والقدر المتيقّن من أخبار هذه الطّائفة النّظر إلى مَنْ كان قاصرًا بلحاظ ذاته كالأطفال، والشّيخ الكبير المعبّر عنه بالفاني، والرّجال والنّساء الّذين لهم عقول كعقول الصّبيان، يعني من كان فاقدًا للشّرط الأوّل الّذي هو شرط في أصل التّكليف والخطاب، مع احتمال إرادة القصور العارض من الخبر الثّالث المتقدّم نقله.

الطّائفة الثّانية: وظاهرها أنّ المستضعف من لا يعرف الاختلاف

الحديث الأوّل: ما رُوي بأسانيدَ متعدّدة عن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: من عرف اختلاف النّاس فليس بمستضعَف»[2]..

الحديث الثّاني: ما رُوي عن عليّ بن سويد عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: «سألته عن الضّعفاء، فكتب إليّ: الضّعيف من لم تُرفع إليه حجّةٌ ولم يَعرف الاختلاف، فإذا عَرف الاختلاف فليس بمستضعَف[3].

وهذه الرّواية أوضح في البيان من السّابقة حيث لم يُكتفَ بالعلم بالخلاف، بل بُيّن فيها أنّ

1-النّساء: 98.

2- الكافي:2:405:باب المستضعف: ح7، وص406، الباب نفسه، ح10. معاني الأخبار: 201: باب معنى المستضعف: ح3.

3 -الكافي:2:406، باب المستضعف: ح11.

معرفة الخلاف إنّما هي لأجل وصول الحجّة، فاحفظ هذه النُّكتة جيّدًا، والتّعبير في السؤال وإن كان عن الضّعفاء،إلاّ أنّه لا يقصد منه إلاّ المستضعف كما بيّنه الجواب.

الحديث الثّالث: ما رُوي عن سفيان بن السّمط البجليّ قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في المستضعَفين؟ فقال لي شبيهاً بالفزع: فتركتم أحدًا يكون مستضعَفاً، وأين المستضعَفون؟! فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق[1] في خدورهنّ، وتحدّثت به السّقّايات في طريق المدينة»[2].

وهذه الرّواية قد بيّنت أنّ نشر أمر الإمامة هو الّذي أوجب فقد المستضعَف بين النّاس، فكلّ من وصله البيان ليس بمستضعَف.

الحديث الرّابع: ما رواه في البحار عن كتاب المسائل لعليّ بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام، وقد جاء فيه عند بيان المستضعَف قوله: «أرأيتم خدمكم ونساءكم ممّن لا يعرف ذلك؟ أتقتلون خدمكم وهم مقرّون لكم؟!». وقال: «من عُرض عليه ذلك فأنكره فأبعده الله وأسحقه لا خير فيه»[3].

هذه هي أهمّ أخبار هذه الطّائفة، وقد يظهر منها لا سيّما الأخيرين النّظر إلى المستضعَف في أمر الإمامة، لكن لا ينبغي التّخصيص بعد أن كان الجواب عامًّا ومحاكيًا لارتكاز عقليّ يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

في الجمع بين الطّائفتين.

في الحقيقة نحن لا نرى أيّ تنافٍ بين الطّائفتين؛ فإنّ الأولى تنظر إلى جنبةٍ غير الّتي تنظر إليها الطّائفة الأُخرى، فإنّ الأولى ناظرة إلى القصور الذاتيّ كالأطفال، والشّيخ الفاني، والرّجال والنّساء الّذين هم على عقول الصّبيان، والطّائفة الثّانية ناظرة إلى ارتفاع البيان؛ فإنّ معرفة الاختلاف طريق لحثّ العقل على الفحص والعثور على البيان، وإلاّ فمن الواضح أنّه لا يُراد كون مجرّد معرفة

1- جارية عاتق: الشّابّة أوّل ما تُدرك. وقيل: هي الّتي لم تَبن من والديها، ولم تُزوَّج وقد أدركت وشبّت، وتجمع على العُتَّق والعواتق. (انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة: 4: 1520. مبارك بن محمّد ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر:3: 178 179-).
2 -الكافي:2: 404 و405:باب المستضعف:ح4. وانظر: معاني الأخبار:201 و202: باب معنى المستضعف: ح6.
3 -بحار الأنوار:69: 170، باب المستضعفين والمرجون لأمر الله: ح37.

الاختلاف كافية للخروج عن حدّ الاستضعاف، ولو كان عقله كعقول الصّبيان، ولأجل هذا ورد التّعبير بالإنكار في خبر مسائل عليّ بن جعفر.

ويرشدك إلى هذا المعنى ما رُوي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له يبيّن فيها الإيمان، من ضمنها قوله عليه السلام: «ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه»[1]، فلا يكفي بلوغ الحجّة، بل لا بدّ من وعايتها وإدراكها.

وفي وصية المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام: «يقول: من شكّ أو ظنّ وأقام على أحدهما أحبط الله عمله، إنّ حجّة الله هي الحجّة الواضحة[2].

وبعبارة جامعة تبيّن تلاؤم ما جاء في هذه الأخبار مع ما استفيد من الأدلّة العامّة: إنّ المعذور إمّا أن يكون عذره لأجل قصور ذاتيّ بأن لا يكون قادرًا على الإدراك ولو بلغه البيان، وأخرى لا قصور ذاتيّ له، فهذا تارةً لا تبلغه الحجّة، وأخرى بلغته لكن لم تكن واضحة بل مشوبة بتضليل المضلّلين مثلاً.

ومن كان قاصرًا بذاته هو القدر المتيقّن من الطّائفة الأولى، ومن لم يصله البيان وكان غافلاً عن وجوده هو القدر المتيقّن من الطّائفة الثّانية، وأمّا من وصلته الحجّة وكانت مشوبةً بالتّضليل ولم يكن له قدرة على التّمييز، فهذا مشمول لأخبار كلا الطّائفتين، إذ لا يدخل تحت قوله عليه السلام في معتبرة سليمان بن خالد: «وأمّا رجل شديد العنق، جدل، خصم يتولّى الشّراء والبيع لا تستطيع أن تغبنه في شيء، تقول هذا مستضعَف لا ولا كرامة»، ويصدق عليه ما جاء في خبر عليّ بن سويد من قوله عليه السلام:»الضّعيف من لم ترفع إليه الحجّة، ولا يصدق عليه عنوان الإنكار كما في خبر عليّ بن جعفر.

والمتحصّل: أنّ المستفاد من هذه الأخبار أنّ المستضعَف هو كلّ شخص معذور، إمّا لعدم قدرته العقليّة أو لعدم وصول الحجّة إليه، فلا يخرج الشّخص عن حدّ الاستضعاف إلّا بعد وصول الحجّة إليه مع قدرته على تمييز الحقّ من الباطل.

1- الموسوي، م: نهج البلاغة: 283.
2- الكافي:2:400: باب الشّكّ:ح8.

أخبار الطّائفة الثّالثة.

هذا تمام الكلام في الطّائفتين الرّئيستين، وقد عرفت عدم تغاير نتيجتهما عن نتيجة البحث العامّ المتقدّم، وكنّا قد ذكرنا وجود طائفة ثالثة من الأخبار تقابل بين المستضعَف والنّاصب، وهذه الأخبار لو ضممنا إليها ما رُوي في الفروع _ أعني في باب صلاة الموتى والكفارات، والزّكاة، والنّكاح، والعتق _ لبلغت أعلى درجات الاستفاضة، ولذا قال بعض الأعلام (رحمه الله): (إنّ النّاصب حيث ما أطلق في الأخبار يراد منه المخالف غير المستضعَف)[1].

وهذه الطّائفة من الأخبار _ كما تقدّمت الإشارة إليه _ في مقام بيان سنْخ خاصّ من أقسام المستضعّفين، وهو المستضعَف في أمر الإمامة، وقد عرفت أيضًا أنّ الأخبار المبيّنة للمستضعَف، هي الّتي تصلح لبيان المراد من النّاصبيّ، وهذا بحث قد طالت فيه المشاجرة، وهو خارج عن مقصدنا هنا.

إلى هنا تمّ الكلام في بيان المراد من المستضعَف، وقد اتّضح أنّه ذاك المعذور في مخالفته للواقع المعبّر عنه بالقاصر سواء أكان قصوره ذاتيًّا أم بسبب عوامل خارجيّة، وأنّ النّاصب هو الجاحد سواء أكان جحوده عن معرفة أم عن استخفاف.

6.في أنّ المستضعف واسطة بين الإيمان والكفر[2]

بعدما عرفت أنّ الكتاب الكريم قد جعل الإيمان والكفر مناط استحقاق الجنّة أو النّار، وأنّ الحكم بالكفر فرع إتمام الحجّة، وبما أنّ المستضعف لم تتمّ عليه الحجّة لا يحكم بكفره، كما أنّه لا يحكم بإيمانه بعد أن لم يكن يعتقد بالحقّ، ومن هنا صحّ جعله واسطة بين الإيمان والكفر، فلا يحكم عليه بشيء منهما عقديًّا وإن كان قد يتبع في الظّاهر الدّين أو المذهب الّذي ينتسب إليه، فإنّ ذلك أمر آخر خارج عن مقصدنا حيث البحث عن خصوص الحكم من حيث النّجاة والعقاب يوم القيامة.

هذا، وقد ورد في الأخبار ما ينسجم مع ذلك السياق العامّ للأخبار، فأكّد في جملة على أنّ

1- العاملي،ج: مفتاح الكرامة،12: 215.
2- وهذه غير ما ذهب إليه المعتزلة من القول بأنّ مرتكب الكبيرة واسطة بين الإيمان والكفر،وقد بيّنا ذلك مفصّلاً في شرحنا على تجريد الاعتقاد، انظر:غاية المراد في شرح تجريد الاعتقاد،ج3،ص629 _ 646.

المستضعَف غير محكوم بالإيمان أو الكفر. منها ما جاء في رواية طويلة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، نذكر موضعًا منها عندما ذكر له الإمام عليه السلام، أن يتزوّج من لا تنصب وإن كانت غير عارفة بالمذهب الحقّ، قال زرارة:»وهل تعدو أن تكون مؤمنةً أو كافرةً؟ فقال عليه السلام: تصوم وتصلّي وتتّقي الله، ولا تدري ما أمركم. فقلتُ[1]: قد قال الله عزّ وجلّ: «هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن»[2]، لا والله، لا يكون أحد من النّاس ليس بمؤمن ولا كافر». قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «قول الله أصدق من قولك يا زرارة، أرأيت قول الله عزّ وجلّ: خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم»[3]. فلِمَ قال: (عسى)[4]؟! فقلتُ: ما هم إلّا مؤمنين أو كافرين. قال: فقال: ما تقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا**﴾[5] إلى الإيمان؟ فقلت: ما هم إلّا مؤمنين أو كافرين. فقال: والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين»[6].

وقد ورد في معتبرة زرارة قال:»دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على أبي جعفرعليه السّلام: قال: قلتُ له: إنّا نمدّ المطمار. قال: وما المطمار؟ قلت: التّرّ[7]، فمن وافقنا من علويّ أو غيره تولّيناه، ومن خالفنا من علويّ أو غيره برئنا منه. فقال لي: يا زرارة قول الله أصدق من قولك، فأين الّذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا**﴾[8]؟ أين المرجون لأمر الله؟ أين الّذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيّئاً؟ أين أصحاب الأعراف؟ أين المؤلّفة قلوبهم؟) الحديث[9].

هذا، ومن الأخبار الواردة بهذا المضمون ما رُوي عن هاشم صاحب البريد قال: «كنت أنا

1- والقائل زرارة، وهكذا سائر الفقرات.
2- التغابن: 2.
3- التوبة: 102)
4- أي ولو كانوا مؤمنين لتاب الله تعالى عليهم، ولو كانوا كافرين لم يتب عليهم، فلا موقع لـ(عسى).
5- النّساء: 98.
6- الكافي:2: 402 403-: باب الضّلال:ح2.
7- التر خيط البناء. (انظر: الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ج8، ص106.
8- النّساء: 98.
9- الكافي:2: 382 - 383، باب أصناف النّاس:ح3.

ومحمّد بن مسلم وأبو الخطّاب مجتمعين، فقال لنا أبو الخطّاب: «ما تقولون فيمن لم يعرف هذا الأمر»؟ فقلتُ: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافرٌ. فقال: أبو الخطّاب ليس بكافر حتّى تقوم عليه الحجّة، فإذا قامت عليه الحجّة فلم يعرف فهو كافرٌ».

فقال له محمّد بن مسلم: سبحان الله ما له إذا لم يعرف ولم يجحد يكفر، ليس بكافر إذا لم يجحد.

قال:» فلمّا حججت دخلت على أبي عبد الله فأخبرته بذلك»، فقال: «إنّك قد حضرت وغابا، ولكن موعدكم اللّيلة الجمرة الوسطى بمنى، فلمّا كانت اللّيلة اجتمعنا عنده وأبو الخطّاب ومحمّد بن مسلم فتناول وسادةً فوضعها في صدره»، ثمّ قال لنا: «ما تقولون في خدمكم ونسائكم وأهليكم، أليس يشهدون أن لا إله إلاّ الله»؟ قلت: بلى. قال: «أليس يشهدون أنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله» ؟قلت:» بلى». قال: «أليس يصلّون ويصومون ويحجّون»؟ قلت: «بلى».

قال: «فيعرفون ما أنتم عليه»؟ قلت: «لا». قال: «فما هم عندكم»؟ قلت: «من لم يعرف هذا الأمر فهو كافرٌ».

قال: «سبحان الله، أما رأيت أهل الطّريق وأهل المياه»؟ قلت:»بلى». قال: «أليس يصلّون ويصومون ويحجّون»؟ أليس يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله»؟ قلت: «بلى».

قال: «فيعرفون ما أنتم عليه»؟ قلت «لا». قال:» فما هم عندكم»؟ قلت: «من لم يعرف هذا الأمر فهو كافرٌ».

قال: «سبحان الله، أما رأيت الكعبة والطّواف وأهل اليمن وتعلّقهم بأستار الكعبة»؟ قلت: «بلى». قال:» أليس يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله، ويصلّون ويصومون ويحجّون»؟ قلت: «بلى»، قال: «فيعرفون ما أنتم عليه»؟ قلت: «لا»، قال: فما تقولون فيهم»؟ قلت: «من لم يعرف فهو كافرٌ».

قال: «سبحان الله هذا قول الخوارج». ثمّ قال: «إن شئتم أخبرتكم». فقلتُ أنا: «لا». فقال: «أما إنّه شرٌّ عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منّا». قال:» فظننتُ أنّه يُديرنا على قول محمّد بن مسلم»[1].

1- الكافي:2: 401 402-: باب الضلال: ح1.

والمتحصّل: أنّ المستضعَف ليس بمؤمن ولا بكافر من حيث الاعتقاد، وأمّا من حيث ترتّب الفروع الفقهيّة فبلحاظ ما يُظهره من إقراره على نفسه، فقد يعامل معاملة المسلمين، وقد يعامل معاملة غيرهم، وهذا لا ارتباط له بما هو حكمه يوم القيامة.

7. حكم المستضعَف يوم القيامة

الأخبار الّتي بيّنت حكم المستضعَف في عالم الآخرة يمكن تصنيفها إلى طوائف:

الطّائفة الأولى: الآمرة بالسّكوت عنهم:

كالّذي رواه في الكافي عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن النّضر بن سويد عن يحيى الحلبيّ عن ابن مسكان عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الولدان والأطفال، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[1].

ورُوى عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن زرارة في بيان معنى قوله صلّى الله عليه وآله ضمن حديث: «إنّما عنى كفّوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردّوا علمهم إلى الله»[2]، وواضح أنّ مورد هذه الأخبار خصوص قسم خاصّ من المستضعَفين، وهم الأطفال.

الطّائفة الثّانية: وهي الدالّة على وقوع الاختبار.

وهي أخبار مستفيضة، منها: ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته هل سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفالط. فقال: «قد سُئل»، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». ثمّ قال: «يا زرارة، هل تدري قوله (الله أعلم بما كانوا عاملين)»، قلت: «لا»، قال: «لله فيهم المشيئة، إنّه إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الأطفال، والّذي مات من النّاس في الفترة، والشّيخ الكبير الذي أدرك النّبيّ وهو لا يعقل، والأصمّ والأبكم الّذي لا يعقل، والمجنون والأبله الّذي لا يعقل، وكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة فيؤجّج لهم ناراً، ثمّ يبعث الله إليهم ملكاً فيقول لهم

1- الكافي،3: 248: باب الأطفال: ح4.
2 -الكافي:3:249: باب الأطفال:ح5.

إنّ ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلامًا وأدخل الجنّة، ومن تخلّف عنها دخل النّار»[1]. وهذا الخبر أحسن الأخبار دلالة لعموميّته، وسندًا لجلالة رُواته.

وقد روى عين هذا الخبر الصّدوق (رحمه الله) في التّوحيد مع بعض الزيادات في أوّله[2].

وقد روى الصّدوق (رحمه الله) أيضاً الاحتجاج على السّبعة -على الطّفل، والّذي مات بين النّبيّين، والشّيخ الكبير الّذي أدرك النّبيّ وهو لا يعقل، والأبله، والمجنون الّذي لا يعقل، والأصمّ، والأبكم- عن زرارة[3].

إلى غير ذلك من الأخبار المتكثّرة الّتي يطول الحال بذكرها، ولا بأس بأنّ نختم بما جاء في معتبرة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنّه سُئل عمّن مات في الفترة، وعمّن لم يدرك الحنث والمعتوه»، فقال: «يحتجّ الله عليهم يرفع لهم نارًا فيقول لهم ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أبى، قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني»[4].

ومن الواضح أنّ أخبار هذه الطّائفة، لا سيّما ما نقلناه أوّلاً، مفسّرة ومبيّنة للمراد من الطّائفة السّابقة.

الطّائفة الثّالثة: الدّالّة على ملاحظة أعمالهم.

كما يشهد عليه ما رواه في معاني الأخبار بسند معتبر عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا**﴾[5] فقال: «لا يستطيعون حيلةً إلى النّصب فينصبون، ولا يهتدون سبيل أهل الحقّ فيدخلون فيه، وهؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة، وباجتناب المحارم الّتي نهى الله عزّ وجلّ عنها، ولا ينالون منازل الأبرار»[6].

أقول: هذا الخبر إنّما يعارض أخبار الطّائفة السّابقة، فيما لو كان ظاهرًا في أنّ تمام مناط الثّواب

1 -الكافي: 3: 248: باب الأطفال:ح1.
2- التّوحيد: 382: باب الأطفال وعدل الله فيهم: ح5.
3- التوحيد:381 382-: باب الأطفال وعدل الله فيهم: ح4.
4- الكافي: 3: 249: باب الأطفال: ح6.
5- النّساء: 98.
6- معاني الأخبار: 201: باب معنى المستضعف: ح5.

على الإتيان بالأعمال الحسنة والاجتناب عن المحارم، لكنّه وبقرينة ما تقدّم من الأخبار يمكن أن يجعل أحد ملاكات استحقاق الثّواب والدّخول إلى الجنّة مع كون الأصل وقوع الاختبار.

على أنّ في الخبر إجمالاً من جهتين:

الأولى: أنّ الإمام ناظر إلى تفسير الآية وقد ذكر فيها (الولدان)، وهؤلاء غير مكلّفين بشيءن بل بعضهم لا يعقل في حقّه الأعمال الحسنة، كما هو الحال بالنسبة لغير المميّزين.

الثانية: التّعبير بـاجتناب المحارم الّتي نهى الله عزّ وجلّ عنها، فإنّ هذا التّعبير لا يصحّ بالنّسبة لكلّ مستضعَف، بل خصوص من كان مدركًا لتوجه خطابات تكليفيّة من الله تعالى، مع أنّ قسمًا كبيراً من المستضعفين، إنّما يكونون مكلّفين بخصوص القبائح الّتي يستقلّ بها العقل بإدراكها.

الطّائفة الرّابعة: الظّاهرة في دخولهم الجنّة

كمعتبرة الجعفيّ قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدّين الّذي لا يسع العباد جهله. فقال: «الدّين واسعٌ ولكنّ الخوارج ضيّقوا على أنفسهم من جهلهم». قلت: «جعلت فداك، فأحدّثك بديني الّذي أنا عليه»؟ فقال: بلى».

فقلت: «أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله، وأتولاكم وأبرأ من عدوّكم، ومن ركب رقابكم وتأمّر عليكم وظلمكم حقّكم. فقال: ما جهلت شيئاً، هو والله الّذي نحن عليه». قلت:»فهل سلم أحدٌ لا يعرف هذا الأمر»؟ فقال: «لا، إلاّ المستضعفين». قلت: «من هم؟ قال نساؤكم وأولادكم»، ثمّ قال: «أرأيت أمّ أيمن فإنيّ أشهد أنّها من أهل الجنّة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه»[1].

وهذا المعنى يمكن أن يستظهر ارتكازه في ذِهن بعض الرواة، كما يشهد له ما رواه في الكافي أيضاً عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن ابن محبوب عن جميل بن درّاج قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنيّ ربمّا ذكرت هؤلاء المستضعفين، فأقول: نحن وهم في منازل الجنّة»! فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يفعل الله ذلك بكم أبداً»[2].

1- الكليني،الكافي،2، 405، باب المستضعف، ح6.
2- الكافي: 2: 406: باب المستضعف:ح8.

وما رواه بسنده عن أيّوب بن الحرّ قال: «قال رجلٌ لأبي عبد الله عليه السلام ونحن عنده: «جعلت فداك، إنّا نخاف أن ننزل بذنوبنا منازل المستضعفين». قال: «فقال: لا والله لا يفعل الله ذلك بكم أبدًا»[1].

وقد روى في الخِصال عليّ بن الحكم عن أبان بن عثمان عن محمّد بن الفضيل الرّزقيّ عن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن عليٍّ عليه السلام قال:» إنّ للجنّة ثمانية أبوابٍ؛ بابٌ يدخل منه النّبيّون والصّدّيقون، وبابٌ يدخل منه الشّهداء والصّالحون، وخمسة أبوابٍ يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصّراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولّاني في دار الدّنيا، فإذا النّداء من بطنان العرش قد أجيبت دعوتك، وشفّعت في شيعتك، ويشفّع كلّ رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وبابٌ يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلّا اللهن ولم يكن في قلبه مقدار ذرّةٍ من بغضنا أهل البيت»[2].

وكما ترى، فإنّ هذه الأخبار لا تدلّ على فعليّة دخول المستضعفين، جميع المستضعفين إلى الجنّة، بل غاية ما يستفاد منها الاقتضاء، وأنّ لهم صلاحيّة الدّخول إلى الجنّة. فالمستضعف كما في معتبرة الجُعفي قد سَلم من الحكم عليه بالخلود في النّار، وقد حكم عليه السلام بدخول أم أيمن ومن شاكلها الجنّة، وأمّا سائر الأخبار فقد بيّنت أنّ بعض المستضعفين يدخلون الجنّة، وهو مسلّم ولا أقلّ بالنّسبة لأطفال المؤمنين كما يأتي إن شاء الله تعالى.

الطّائفة الخامسة: ما دلّ على أنّهم على الأعراف.

ففي كتاب سليم بن قيس، قال في حديث افتراق الأمّة ثلاث وسبعين فرقة وأنّ جميعها في النّار إلاّ واحدة،فقلت: «يا أمير المؤمنين، أرأيت من قد وقف، فلم يأتّم بكم، ولم يعادكم، ولم ينصب لكم، ولم يتعصّب، ولم يتولكم، ولم يتبرّأ من عدوكم، وقال: لا أدري، وهو صادق؟

قال: ليس أولئك من الثّلاث والسّبعين فرقة، إنّما عنى رسول الله صلّى الله عليه وآله بالثّلاث

1- الكافي:2: 406: باب المستضعف:ح9.
2- الخصال: 2: 408: باب الثّمانية: ح6.

والسّبعين، فرقة الباغين النّاصبين، الّذين قد شهروا أنفسهم ودعوا إلى دينهم، ففرقة واحدة منها تدين بدين الرحمان، واثنتان وسبعون تدين بدين الشّيطان، وتتولّى على قبولها وتتبرّأ ممن خالفها، فأمّا من وحّد الله وآمن برسول الله صلّى الله عليه وآله، ولم يعرف ولايتنا ولا ضلالة عدوّنا، ولم ينصب شيئًا، ولم يحلّل، ولم يحرّم، وأخذ بجميع ما ليس بين المختلفين من الأمة فيه خلاف في أن الله عزّ وجلّ أمر به، وكفّ عمّا بين المختلفين من الأمّة خلاف في أنّ الله أمر به أو نهى عنه، فلم ينصب شيئًا، ولم يحلّل، ولم يحرّم، ولا يعلم، وردّ علم ما أُشكِل عليه إلى الله، فهذا ناج[1].

أهل الجنة وأهل النّار وأصحاب الأعراف، وهذه الطبقة[2] بين المؤمنين وبين المشركين، هم أعظم النّاس وأجلّهم، وهم أصحاب الحساب والموازين والأعراف»[3]، ومثل هذا الخبر لا يعارض ما تقدّم، كما هو واضح بعد أن كان الاختبار لا يُنافي وقوفهم على الأعراف برهة من الزّمن.

تنبيه: في حكم أولاد المؤمنين والمشركين.

بعدما عرفت أنّ مقتضى الأخبار المستفيضة وقوع الاختبار لكلّ مستضعَف، يقع الكلام في وجود مخصّص لهذه الأخبار بالنّسبة للأطفال، فلا اختبار لهم بل يلحقون بآبائهم في الجنّة أو النّار.

ظاهر جملة من الأخبار هذا المعنى، ونقسّمها إلى قسمين:

القسم الأوّل: الواردة في خصوص أطفال المؤمنين، وأنّهم ملحقون بآبائهم كالّذي رواه في الكافي عن عدّة من أصحابه عن سهل بن زياد عن عليّ بن الحكم عن سيف بن عميرة عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجل: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتهُم ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلحَقنَا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم**﴾[4] قال: «فقال قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم»[5]. أيْ فنفس الأبناء قاصرون عن الوصول إلى عمل الآباء، فلا يتوهّم اختصاص هذا

1- يعني غير معذّب فقد زُحزح عن النّار، والقرينة على هذا الفهم ما يأتي في المقطع اللاحق من التّقسيم الثّلاثي.
2- يعني أهل الأعراف.
3 -كتاب سليم بن قيس: 2: 607: ضمن الحديث السّابع.
4- الطّور:21.
5- الكافي:3:249: باب الأطفال: ح5.

الخبر بالمكلّف من الأبناء، وإن كانت الآية بحسب الظّاهر شاملةً لكلا القسمين، لكن هذا ليس مورد بحثنا.

وروى الصّدوق بسنده عن الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى كفّل إبراهيم عليه السلام وسارة أطفال المؤمنين، يغذّونهم من شجرة في الجنّة لها أخلاف كأخلاف[1] البقر في قصور من درّ، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيّبوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم مع آبائهم ملوك في الجنّة»[2]، وقد روي بمعناه أخبار أُخر[3].

وهذا القسم من الأخبار لا مانع من العمل به؛ لعدم منافاته لِمَا تقدّم، فنخصّص أخبار الاختبار بغير أولاد المؤمنين، والوجه في دخولهم الجنّة ليس إلّا مراعاة كرامة آبائهم، بل هم في الحقيقة، غير مستضعفين على ما عرفت من معنى المستضعف من أنّه خصوص من يحمل المكروه.

القسم الثّاني: الأخبار الواردة في أطفال المشركين، ومن هذه الأخبار ما رواه الصّدوق في الفقيه حيث قال: «روى وهب بن وهب عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: «أولاد المشركين مع آبائهم في النّار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنّة».

وروى جعفر بن بشير عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث؟. قال: كفّار، والله أعلم بما كانوا عاملين، يدخلون مداخل آبائهم»[4]، ثمّ ساق بعض الرّوايات الدالّة على وقوع الاختبار.

فهل يمكن تخصيص أخبار الاختبار بأولاد الكفّار، فيحكم بدخولهم النّار من دون اختبار؟ ظاهر بعضهم عدم وجود مانع من ذلك[5].

ومقابله قول مشهور بين الأعلام بمُنافاة تعذيب أبناء المشركين لقواعد أهل العدل، ولقوله

1- يعني أضرع.
2- التّوحيد: 393 -394، باب الأطفال وعدل الله عزّ وجلّ فيهم: ح6.
3- انظر: التّوحيد:394: باب الأطفال وعدل الله عزّ وجلّ فيهم: ح8.
4- من لا يحضره الفقيه،3: 491.
5- انظر: يوسف البحراني، الحدائق،5: 199 - 200.

تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرَىٰ﴾[1]، فلا بدّ من توجيهه بما يوافق هذه القواعد، وأهمّ ما ذكر في المقام أحد وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ أخبار اللّحوق متعرّضة لحالهم في البرزخ، بخلاف أخبار التّأجيج والاختبار فإنّها متعرّضة لحالهم يوم القيامة[2].

وفيه: أنّ ظاهر الأخبار المذكورة، النّظر إلى حالهم يوم القيامة.

الوجه الثّاني: ما ذكره الحرّ العامليّ (رحمه الله) في فصوله، حيث حمل أخبار تعذيب أولاد الكفّارعلى التّقيّة، فقال: «هذا محمول على التّقيّة لموافقته لمذهب العامّة المنكرين للعدل، ولرواياتهم الكثيرة وأدلّة العدل بأسرها منافية له»[3]، ثمّ ذكر احتمالات أخر، وهذا الحمل هو الأظهر عند العلّامة المجلسيّ[4].

والمتحصّل:إنّ أخبار الاختبار هي المرجّحة مطلقًا، ولا يرفع اليد عنها إلّا بالنّسبة لأطفال المؤمنين الّذين عرفت خروجهم تخصّصاً، وأمّا أطفال الكفّار فيُختبرون حالهم كحال سائر المستضعفين؛ فإنّ أخبار الإلحاق بآبائهم مخالفة للكتاب وقواعد أهل العدل مع كونها موافقة لجملة من أهل العامّة.

تنبيه: قد نُسب في بعض كتب الكلام إلى عامّة أهل العدل العمل بما رُوي من أنّ أطفال الكفّار خدم أهل الجنّة[5]. وقد وردَ في مجمع البيان للشّيخ أبي عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسي(رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيهِم وِلدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[6] قوله: «اختلف في هذه الولدان فقيل: إنّهم أولاد أهل الدّنيا لم يكن لهم حسنات فيُثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها، فأنزلوا هذه المنزلة، عن عليّ عليه السلام والحَسَن. وقد رُوي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سُئل عن أطفال

1- الأعراف: 164.
2- انظر: من لا يحضره الفقيه: 3: 492. الوافي: 25: 647.
3- الفصول المهمّة في أصول الأئمّة_ تكملة الوسائل، ج1، ص281.
4- بحار الأنوار:5: 295.
5- انظر: شرح المواقف: 8: 197.
6- سورة الإنسان: 19.

المشركين فقال: هم خدم أهل الجنّة»[1]، ثم ذكر احتمال كونهم خدم الجنّة على صورة ولدانٍ خُلقوا لهذه الغاية.

وقد يعتقد أنّ هاتين الروايتين واردتان من طرقنا، وهو منافٍ للصواب، بل هي مأخوذة من الزمخشري[2]، وقد عرفت ما تنطق به أخبارنا.

الخاتمة

أوّلاً: قد نصّ الكتاب العزيز على الإيمان مناط النّجاة، كما أنّ الكفر مناط استحقاق العقاب، لكن قد أكّد فيه أنّ ذلك إنّما يكون بعد إتمام الحجّة وعلى رأسها بعثة الرّسل.

ثانيًا: قد ورد في الأخبار ذكر لمفهوم المستضعف، وأصله القرآنيّ قوله تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلا**﴾[3].

ثالثًا: قد ورد في جملة من الأخبار أنّ المقصود من المستضعَّف، مَنْ لا يقدر على التّمييز بين الحقّ والباطل، وفي مجموعة أخرى أنّه من لم يعرف الخلاف، وبيّنا كيف أنّ الطّائفة الأولى ناظرة إلى القصور الذّاتيّ في شخص المستضعَف، وأنّ الطّائفة الثّانية ناظرة إلى صورة عدم وصول الحجّة.

رابعًا: ورد في جملة من الأخبار المقابلة بين النّاصب والمستضعَف، ولذا فإنّ هذه الأخبار صالحة لبيان حقيقة النّاصب.

خامساً: المستضعَف في أخبار أهل البيت عليهم السّلام ليس بمؤمن ولا بكافر من حيث

1- الطّبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: 5: 327.
2 -انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 4: 459.
3 -سورة النّساء: 98.

الاعتقاد، وأمّا من حيث ترتّب الفروع الفقهيّة فبلحاظ ما يُظهره من إقراره على نفسه، فقد يعامل معاملة المسلمين، وقد يعامل معاملة غيرهم، وهذا لا ارتباط له بما هو حكمه يوم القيامة.

سادساً: بالنّسبة لحكم المستضعَفين يوم القيامة، فإنّ أكثر الأخبار بيّنت أنّ حكمهم الاختبار في ذلك العالم، فمن أطاع نجى وإلّا استحقّ العقاب.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. ابن الأثير، مبارك بن محمّد، النّهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسّسة إسماعيليان، قم المشرّفة، لا ت، ط 1.

3. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مركز النّشر التّابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، قم المشرّفة، 1404هـ، ط 1.

4. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق أحمد فارس صاحب الجوائب، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، 1414هـ، ط 3.

5. البحرانيّ، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، مؤسّسة البعثة، ثم المشرّفة، 1416هـ، ط 1.

6. البحرانيّ، يوسف بن أحمد بن إبراهيم، الحدائق النّاضرة في أحكام العترة الطّاهرة، تحقيق محمّد تقي الإيرواني والسّيّد عبد الرزاق مقرم، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، 1405هـ، ط 1.

7. الجرجانيّ، عليّ بن محمّد، شرح المواقف، تصحيح بدر الدين نعساني، الشّريف الرّضي، قم المشرّفة، 1325هـ، ط 1.

8. الجوهريّ، إسماعيل بن حماد، الصّحاح _ تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق أحمد عبد الغفور العطّار، دار العلم للملايين، بيروت، 1410هـ، ط 1.

9. الحرّ العامليّ، محمد بن حسن، الفصول المهّمّة في أصول الأئمة(_ تكملة الوسائل، تحقيق محمّد بن محمّد حسين قائيني، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم المشرّفة، 1418هـ، ط 1.

10. الرّضي، محمّد بن حسين الموسوي، نهج البلاغة، تحقيق عزيز الله عطاردي، مؤسّسة نهج البلاغة، قم المشرّفة، 1414هـ، ط 1.

11. الزّمخشريّ، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1979م، ط 1.

12. الزّمخشريّ، محمود بن عمر الكشّاف عن حقائق غوامض الّتنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ ق، ط3.

13.- صاحب بن العبّاد، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللّغة، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتاب، بيروت، 1414هـ، ط1.

14. الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه، التّوحيد، صححه وعلّق عليه السّيّد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ، مؤسسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، 1430هـ، ط10.

15. الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، ط 1، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، 1403هـ.

16. الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه، معاني الأخبار، لا ط، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالأوفست عن النّسخة المنشورة من قبل الشّيخ عليّ أكبر غفاري سنة 1379هـ ق، قم المشرّفة، 1403هـ.

17. الصّدوق، محمّذ بن عليّ بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ط 2، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، 1413هـ.

18. الطّبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، انتشارات ناصر خسرو، طهران، 1421هـ، ط6.

19. العامليّ، جواد بن محمّد الحُسينيّ، مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلاّمة، تحقيق محمد باقر خالصي، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التّابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، لا ت، ط1.

20. الفراهيديّ، خليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق وتصحيح الدّكتور مهدي المخزومي والدّكتور إبراهيم السّامرائي، دار الهجرة، قم المشرّفة، 1410هـ، ط2.

21. فواز، حسن، غاية المراد في شرح تجريد الاعتقاد، دار الولاء لصناعة النّشر، بيروت، 1440هـ، ط 1.

22. الكاشاني، محمّد محسن بن شاه مرتضى، الوافي، تحقيق ضياء الدّين الحسينيّ الأصفهانيّ،

مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، أصفهان، 1406هـ، ط1.

23.- الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1375 هـ ش، ط6.

24. المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 1403هـ، ط2.

25. المجلسيّ، محمّد باقر بن محمّد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول تحقيق السيّد هاشم رسولي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1404هـ، ط2.

26. المشهديّ، محمّد بن محمّد رضا، تفسير كنز الدّقائق وبحر الغرائب، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1410هـ، ط1.

27. الهلاليّ، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمّد باقر الأنصاري الزّنجاني الخوئيني، منشورات دليل ما، قم المشرّفة، 1428هـ، ط5.